نزلت الآية في النصارى حيث قالوا المسيح ابن الله وقيل نزلت فيهم
وفي مشركي العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله ... لما حكى سبحانه
قول اليهود في امر القبلة وردّ عليهم قولهم ذكر مقالتهم في التوحيد رادًّا عليهم
قال وقالوا اتخذ الله ولدًا سبحانه اى اجلالا له عن اتخاذ الولد وتنزيها
عن القبائح والسوء والصفات التي لا تليق به وروى عن طلحة بن عبيد
الله انه سأل النبي صلى الله عليه وآله عن معنى قوله سبحانه فقال تنزيها
لله عن كل سوء بل له ما في السموات والارض هذا ردّ عليهم قولهم اتخذ
الله ولدًا اى ليس الامر كما زعموا بل له ما في السموات والارض ملكًا
والولد لا يكون ملكًا للاب لان البنوة والملك لا يجتمعان فكيف تكون
الملائكة الذين في السماء والمسيح الذي هو في الارض ولدًا له فنبّه بذلك
على ان المسيح وغيره عبيد له مخلوقون مملوكون فهم بمنزلة سائر الخلق
وقيل معناه بل له ما في السموات والارض فعلا والفعل لا يكون من جنس
الفاعل والولد لا يكون الا من جنس ابيه فان من تبنّى انسانا فان من
تبناه لا بد من ان يكون من جنسه وقوله كل له قانتون قال مجاهد
وابن عباس معناه مطيعون وقال السدي كل له مطيع يوم القيمة
وقال الحسن كل له قائم بالشهادة بما فيه انه عبده وقال الجبائي كل
دائم على حال واحدة بالشهادة بما فيه من آثار الصنعة والدلالة
على الربوبية وقال ابو مسلم كله في ملكه وقهره يتصرف فيه كيف يشاء
لا يمتنع عليه بديع السموات والارض واذا قضى
امرًا فانما يقول له كن فيكون آية قرأ ابن عامر فيكون
بالنصب والباقون بالرفع قال ابو علي تمنع النصب في

قول

قوله فيكون لان قوله كن وان كان على لفظ الامر فليس بامر ولكن المراد
به الخبر لان المنفي الذي ليس بكائن لا يؤمر ولا يخاطب فالتقدير تكون
فيكون فاللفظ لفظ الامر والمراد الخبر كقولهم في التعجب اكرم بزيد فاذا
لم يكن قوله امرًا في المعنى وان كان على لفظه لم يجز ان ينصب الفعل
بعد الفاء بانه جواب كما لم يجز النصب في الفعل الذي يدخله الفاء بعد
الايجاب نحو اتيتك فاحدثك الا ان يكون في شعر في نحو قوله لنا هضبة
لا ينزل الذل وسطها ويأوي اليها المستجير فيعصما ويدل ايضا على امتناع
النصب فيه ان الجواب بالفاء مضارع الجزاء فلا يجوز اذهب فيذهب
على قياس قراءة ابن عامر كن فيكون لان المعنى يصير ان ذهبت ذهبت
وهذا كلام لا يفيد وانما يفيد اذا اختلف الفاعلان والفعلان نحو قم
فاعطيك لان المعنى ان قمت اعطيتك واذا كان الامر على هذا لم يكن
ما روى عنه من نصبه فيكون متجها ويمكن ان يقال فيه ان اللفظ
لما كان على لفظ الامر حمله على اللفظ كما حمل ابو الحسن في نحو قوله قل لعبادي
الذين امنوا يقيموا الصلوة على انه اجرى مجرى جواب الامر وان لم يكن
جوابا له على الحقيقة فالوجه في يكون الرفع على ان يكون معطوفا على كن
لان المراد به يكون فيكون او يكون خبر المبتدأ المحذوف كانه فهو يكون
البديع بمعنى المبدع كالسميع بمعنى المسمع وبينهما فرق من حيث ان
في بديع مبالغة ليست في المبدع ويستحق الوصف به في غير حال الفعل
على الحقيقة بمعنى ان من شأنه انشاء الاشياء على غير مثال واحتذاء و
الابتداع والاختراع والانشاء نظائر وكل من احدث شيئا فقد ابدعه
والاسم البدعة وفي الحديث كل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها

Copyright © King Saud University